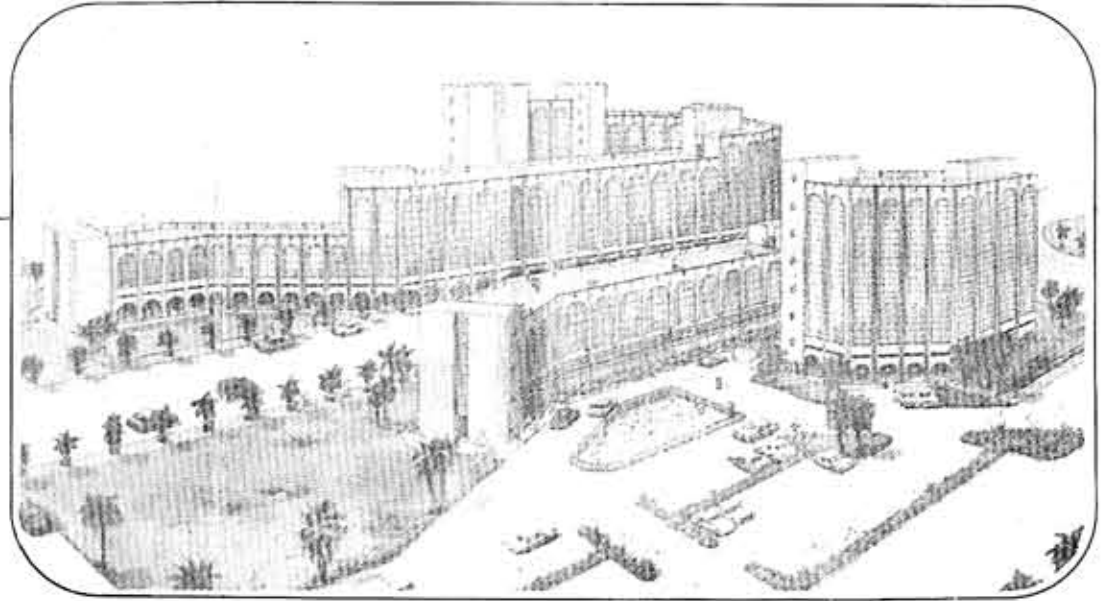
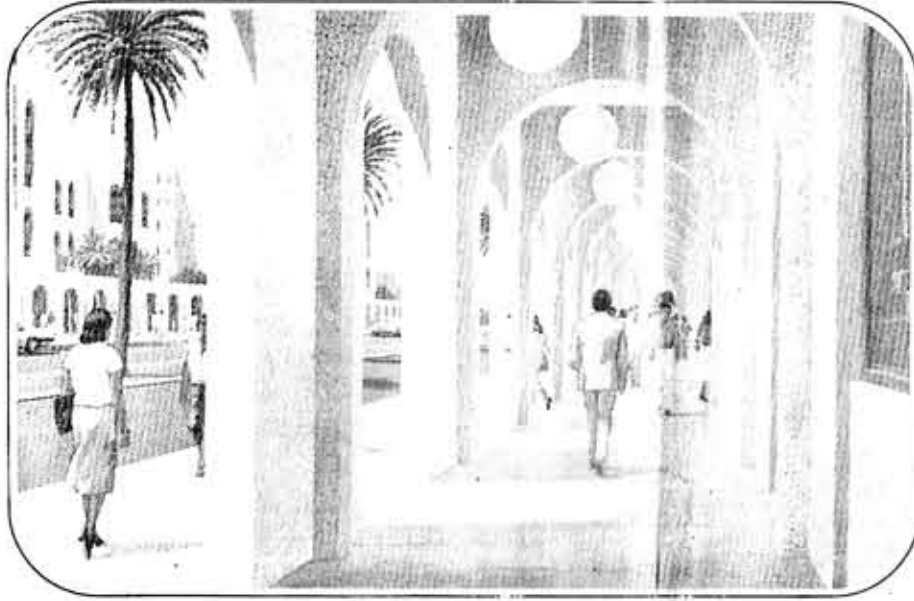




المهندس المعماري معاذ الالوسي

رؤية ثانية لمدينة بغداد .. ما كانت .. وما ستكون

رياض قاسم

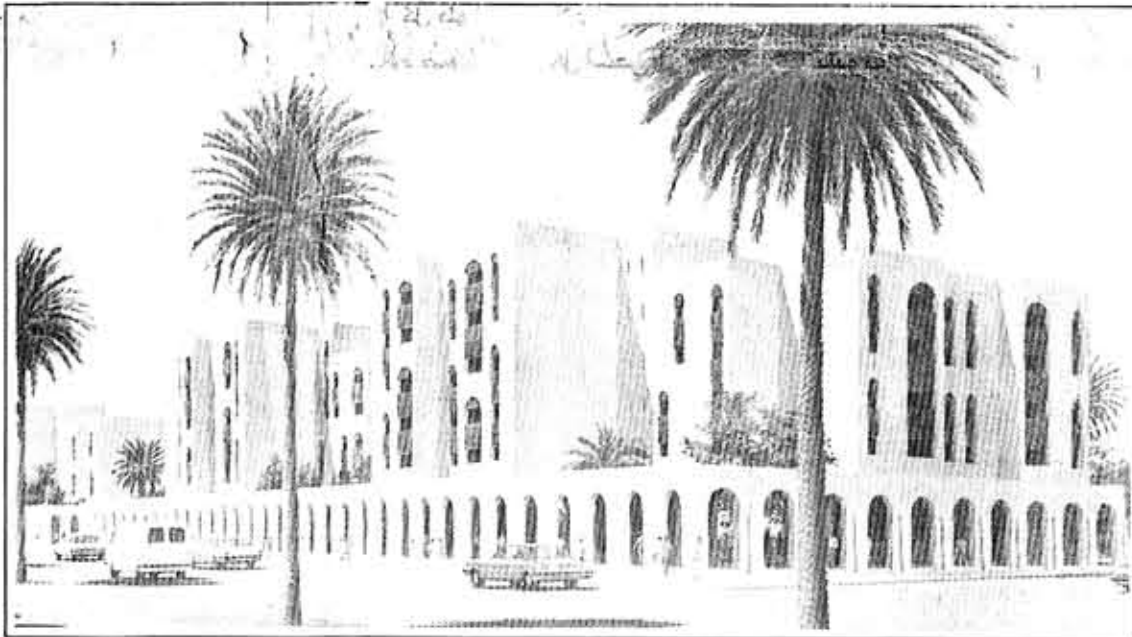
مدينة بغداد وحتى سنة ١٨٦٥ حيث بدأت فترة تحول في نسج بغداد . بدأت مع تهديم اسوار بغداد القديمة ليست اسوار مدينة المنصور . ودخل التاريخ شارع موسى الكاظم الحالي في منطقة الكرخ سنة ١٨٧٠ . واستحدثت شارع الرشيد . ودخل سكة قطار العام ١٩١٥ . وكذلك إزالة الكثير من البساتين لغرض افساح المجال للتوسع الملح للمدينة . لذا نرى ان ما تبقى لدينا من مدينة بغداد القديمة هو النسيج المدني الحالي الموجود في المنطقة المركزية من بغداد وبعض التجمعات التي انشئت حولها في حينه . كالكاظمية والاعظمية . لذا ولغرض الحفاظ على المدينة ذات الامتداد التاريخي علينا الحفاظ على هذا الجزء من المدينة بمعابيره المعمارية والتخطيطية .. هذه المعايير التي هي حصيلة تفهم عميق لواقع اجتماعي اقتصادي وبنيوي خاص .

هذا النسيج .. احداثنا عنه اكثر ؟

اهم مميزات هذا النسيج هو نظام الحركة الموجودة داخل المدينة . وكيفية ارتباط هذه الحركة بالحياة اليومية للفرد هذا النظام المكون من تسلسل منطقي بحجوم مدروسة فالدربونة . والعكد . والدرب ما هي الا شرايين واوردة تغذي الوحدات السكنية وهي تتناسب بحجوم الحركة ومتطلبات المعابر الانشائية للمدينة والابتذات والغضوات والتفصيل المستمر داخل هذه الدروب كلها لها دورها في تكوين شخصية المدينة . كذلك الحشوة البنيائية العمرانية السالبة منها (الفسحات والفناءات وصحن الجرامع والمدارس والاسواق المفتوحة . كذلك الموجبة منها - ابنياني نفسها) كلها تمت ضمن نظم بيئية

الاحيان . كانوا كذلك . حيث كان اسم الحلة يطلق على اصول ساكنيها . كانت الحلة تتبع دورا اجتماعيا مهما في التكوين الاجتماعي العام . فكانت العوائل تحكم بالجيرة وبالروابط القوية التي تنكفئ بتنظيم التعاملات والعلاقات الاجتماعية ومراقبة السلوك . وكان من الواجبات والاعراف المرمية ان يشارك جميع سكنة الحلة في المناسبات الشخصية المختلفة . من عزاء وزواج وفرح وما شاكل .

ان ترجمة هذه الروابط الاجتماعية الى اسس تخطيطية واضحة كان من اهم العوامل التي افرزت للمدينة العراقية نسيجها المدني المترابط . فتلاصق الدور وتراس الجدران واستادها الواحد للآخر مامو الا انعكاس للترابط . على الرغم من



كون هذا التراس يفي باغراض بيئية الا ان عدم وجود العقد والتعقيدات في العلاقات اجاز هذا النوع من التراس . كذلك فان شبكة الطرق وكيفية تسلسلها الحيوي يعكس بوضوح علاقة الدور والعوائل فساد الدربونة والعكد والدرب والفسوة الا فسحات عامة ومجالات لتنظيم وتخطيط نمط الحياة في الحلة الواحدة .

ماذا بقي من بغداد القديمة

وكيف ترى سبل الحفاظ على النسيج المدني لبغداد ؟ على الرغم من تباين خلفيات انظمة الحكم التي تعاقبت على بغداد مدينة المنصور خلال عمرها الذي يزيد على الف عام . وعلى الرغم من التذبذب الثقافي للمدينة . فان نمو وترسيخ واقع بغداد كمدنية مميزة في العالين العربي والاسلامي لم يتغير ففي جميع الفترات كانت تظهر ملامح ومعالم ذات عمارة اصيلة فالقصور والاسواق والحمامات والخانات والجوامع كانت تجمعا على مر العصور اصول ومعايير جمالية اسلامية بغدادية في كثير من الاحيان اثرت على الفازين انفسهم . من دون ان تنأثر اصالتها .. هذه العمارة تصدورت لفترة طويلة من الزمن المنطقة المركزية الحالية من بغداد - الرصافة . على الرغم من امتدادها الى منطقة الكرخ في فترات متأخرة . هذه العمارة استثمرت منذ تأسيس

مع الاستاذ المهندس معاذ الالوسي اجرينا هذا الحوار .. وبداية كان لابد من التعرف على اي الابتكارات او التطبيقات التي شملت البناء في - شارع حيفا . باعتباره مشروعا حيويا كبيرا تشهد ملامحه علوا وارتفاعا . وتكويننا نالعا وجديلا . اذا تحدثنا عن ابتكارات جذرية فليس هناك من ابتكارات بهذا المعنى . انما هناك ايجاد لحلول معمارية بطريقة مثل مشاركة قلته . او استجابة لاسئلة ملحة ناتجة من خلال البحث المستمر لاستيعاب القيم الجمالية الاصلية للموروث وتوظيفها معماريا لغرض الخروج بنتائج معمارية مميزة . فالعمارة المتفاعة وبخاصة تلك التي لها علاقة بالحياة اليومية المباشرة بالفرد والمجموع . هي محصلة لواقع ونمط اجتماعي اقتصادي قائم ونمط اخر مطلوب ومخطط له . تستهدف ايجاد الحلول المثلى بطريقة اصيلة تتميز عن غيرها بكونها مصممة لمتجمع خاص وبيئة معينة وفي الوقت نفسه تمثل امتدادا لتراث جدي وفعلي . في اعتقادي ولحد الان لا يوجد من المعمار العراقي . يتوارثه القيم الجمالية القائمة المتصلة بتسلسل بيئته . قد نجح في ايجاد عمارة عراقية مميزة . الا ان ما حدث بعد هذه الفترة - ولفترة قريبة جدا - هو ان العمارة تخطت في ايجاد الحلول الغربية لانماط وتقليد . القسم الكبير منها متوارث . تاركا الخزين الكبير من الاجابات دون محاولة البحث بعمق وباصالة عن هذا الخزين وكيفية الوصول الى تلك الحلول المعمارية المميزة .

مقال ذلك : الدار العراقية من - اور . واستمرار بعض مميزات كالحوش والمداخل . الى مابعد فترة الاحتلال . الحلة الان هي - حلة شخصية . بين المعمار وصنفته حيث ان الفرص التي تهيأت له في السنوات الثلاث الاخيرة قرص ذهبية وتارة قلما توفر له في التاريخ العراقي .

فالجبهة صاحبة العمل وضعت معايير تطويرية مثالية متقدمة وتركت ايجاد الحلول للمعمار ذاته . فمن غير الانصاف التعامل بطريقة تفكر الى الجدية والاصالة او في بعض الاحيان الوقوع في

اخطاء من الصعب تلافيها .

ماذا نريد ؟

نحن لا نريد مدنا جميلة فقط . وانما نريد لانفسنا مدنا اصيلة مميزة وحية يكون التعامل الانساني اليومي لافراد المجتمع بتقاليد وموروثاته فيها هو المحرك الرئيسي والوازع الاهم . فلو تمكن المعمار العراقي من ترجمة هذه المعايير . وبهاجس الاصالة . لتمكن من الحفاظ على الدور المتوقع من مدنا والمتكسب شرعا من وجودنا بحيوية خلال الفترات التاريخية المتعاقبة . فهناك بغداد واحدة . وموصل واحدة . وبصرة واحدة . وكربلاء واحدة . كل مدينة من هذه المدن ذات عمارة اصيلة .. على خلاف مدن كثيرة ومتشابهة ومكررة في غطها المعيشي والمعماري . ككثير من المدن الامريكية . ومدن الخليج العربي . او مدن البحر الابيض المتوسط ..

لكننا نسال عن الحي . موضوع وحدته . صفاته . كيف نرى الحي ؟ وكيف نوصله بالمستجد من البناء ضمن المشروع الملامح حاليا - شارع حيفا ؟

يبدأ احب ان اسمي الحي - حلة . حيث يتبادر الى ذهني مباشرة الحيز المكاني الحاي على مجموعة الساكنين المرتبطين بروابط وعلاقات اجتماعية وثيقة وقوية . منذ فترة ليست بالبعيدة كانت هذه الحلة متجانسة متوازنة .. ساكنوها يتصرفون تصرف عائلة واحدة . وبالفعل . وفي كثير من

معاذ الالوسي

١٩٣٨ - ولد في بغداد - راس الكنيسة

١٩٥٦ - تخرج في ثانوية الاعظمية

١٩٦١ - تخرج في جامعة الشرق الاوسط في انقرة . وعمل لفترات متقطعة في ألمانيا الغربية خلال السنوات الدراسية .

١٩٦٤ - تخرج في مدرسة رابطة المعماريين البريطانية .

قام بأعمال معمارية وتخطيطية في الخليج العربي والعربية السعودية والسودان ولبنان اضافة لاعماله في القطر .

يقوم حاليا بتقديم الخدمات الاستشارية - لتصميم مشروع شارع حيفا الجزء السادس - التنسيق والادارة لمشروع شارع حيفا باجزائه الستة .

تحضير التصميم الحضري لمنطقة الكرخ - شارك في حملة تزيين مدينة صدام

انتخب مؤخرا من بين مجموعة معماريين دوليين للمشاركة في مسابقة تصميم جامع الدولة الكبير في بغداد .

له بحوث في :

- تاريخ البيت البغدادي
- العمارة العراقية بين ١٩٢٠ - ١٩٤٠
- كذلك تقوم المؤسسة العربية للدراسات والنشر لتحقيق كتاب عن تخطيطات المعاصرة باسم (يوميات بصرية لمعمار عربي) في بيروت تقديم الناقد الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا .
- يمارس اضافة لاعماله الرسم . النحت . التصوير الفوتوغرافي والطبع على الحرير .
- عرضت بعض اعماله في اثينا اليونان . وبييتسبرغ وواشنطن - الولايات المتحدة .

تكوين سكني متجانس . نعم ان تكون العائلة واحتياجاتها . وتكوين المجتمع والمتطلبات المعيشية الحالية اختلفت عما كانت عليه . الا انه عند التعق في محتوى ومعنى الحلة قد يمكننا ضيق نوع من الفعاليات ضمن المكان المحدد يشترك السكان في استعمالها وتزيد من علاقاتهم الاجتماعية الا ان ذلك يتطلب ان توازن قرارات تخطيطية عمرانية موزانة ومشجعة لهذا النمط من العلاقات . فلو اخذنا - شارع حيفا - مثلا - ان الشارع الحالي بامتداده الطولي ومعاييره التخطيطية قد لا يكون حلة او محلات بالمفهوم الاصيل . ومهما حاولنا لاشراك ساكني الشارع بفعاليات اجتماعية او ثقافية او خدمية فان هذا الشارع سيبقى منعزلا عن النسيج المدني والحضري المجاور الا اننا لو رجعنا الى معايير الحلة وكيفية تجميعها وتنظيم المناطق السكنية (وبضمنها مرافق الشارع) ستجد (بعد الدراسة الشاملة للمناطق السكنية في الكرخ وبضمنها شارع حيفا) من الممكن احتواءه ضمن البيئة الكرخية . فقد قسمت اولا . المساحات السكنية الى مناطق كل منطقة تحدها حاليا حواجز بنيوية كالحدايق العامة . او الشوارع . او الاسواق العامة . وضمن هذه المناطق حددت المحلات بتعداد ساكني الحلة يتراوح بين ٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ شخص . ان ساكني هذه الحلة يشاركون في الخدمات الاجتماعية والثقافية والترويح اليومي بواسطة اقامة مرافق لكل حلة . يحوي مفردات هذه الخدمات كدور الحضنة .

وبعض محلات التسويق اليومي . وفسح اللعب . بحيث تشارك الوحدة السكنية الجديدة الفترة (الجديدة منها والقديمة) للحلة في استغلال هذه الخدمات . على الرغم من اختلاف مواصفات هذه الوحدات معماريا .
لو اخذنا جزءا من شارع حيفا فان ارتباطه سيكون بما يجاوره من وحدات سكنية (طيعا بعد تطويرها) وليس بما يجاوره من وحدات سكن في شارع حيفا . وبذا نكون قد قلنا من استغراق اي من هاتين المنطقتين ببيئة خاصة بها . بل بصر الى خلق نوع من التبادل والتعامل اليومي بين ساكني الحلة الواحدة .. وبهذا نكون قلنا الجيرة بالرغم من عدم تجانس الهيكل المعماري للبيئة .

مناطق .. وكثافات سكانية :

وماذا عن القاعدة السكانية ؟

- اكثر المناطق السكنية في المنطقة المركزية من بغداد ذات كثافة عالية . فلو اخذنا المناطق الواقعة بين شارع الشيخ عمر شرقا وشارع الشيخ معروف غربا ستجد كثافتها السكانية تصل في بعض الاحيان الى (٩٠٠) شخص في الهكتار . وهي كثافة عالية جدا . وغير مقبولة بيئيا . ان ذلك يعني سكن اكثر من اسرة في الممتد الواحد . وبخاصة في الدور الكبيرة المعروفة في باب الشيخ والحيدرخانة والعاقولية والشوكة والكريمات والشيخ علي والتكرارة والفحامة والدورين ..
ان هذه المحلات ذات طابع سكني صرف . وهي خير مثال للعمارة البغدادية . الا ان هذه الكثافة السكانية . وبالتالي هذا النمط المعيشي الاجتماعي والاقتصادي غير مقبول وقد نتجت عنه خلط في الاستعمالات في البيئة الخدمية وعلى الرغم من اصرار امانة العاصمة ومنذ فترة على تجديد ادمانها ومراقبتها . فان هذه المحلات بافتقارها الى المرافق الخدمية (كالفسح الخارجية والترويح والحدائق والمدارس والارصفة والحضنة والمدارس وما شاكل) ادى الى هجرة القاعدة السكانية الاصلية المالكة للعقارات واستغلال ممتلكاتها بصورة ادت الى تهريء المنشأ وتركه من دون صيانة .

ماهي القاعدة السكانية البديل . ان ؟
- القاعدة السكانية المطلوبة تعتمد بالدرجة الاولى على الساكنين وتعاملهم فيما بينهم ضمن الجيرة الواحدة . ولا يتم ذلك الا بتوفير جو سكني ذي مفردات يتعامل معها ويتكسب منها .. يتعاطف معها ويدور لبيتها منها في تحسين مستوى معيشته وتطوير مضمون حياته اليومية لكي يصبح عضوا منتجا وخلاقا في عمله . يؤدي دوره بالكفاءة المطلوبة على اقل توقع . نريد من القاعدة السكانية ان تكون فورة بكونها تنتمي الى منطقة معينة لها دورها الاصيل في المجتمع البغدادي وبالتالي ينبغي ان تستفيد مجتمعها بقدارها اصيلا مميزات غاية استعادة دوره المميز في الثقافة والفنون . وليس على مستوى القطر لحسب وانما على مستوى المنطقة اولا والانسانية جمعا . ثانيا .

ويضيف الاستاذ الالوسي مؤكدا :
- انني اعتقد جازما باننا اذا ما تمكنا من الوصول الى هذه القاعدة السكانية المتعاطفة مع بيئتها فسنكون بذلك قد خلفنا عينا كبيرا عن اجهزة امانة العاصمة . الهندسية منها والخدمية تاركين لها الدور الترشدي فقط . بحيث لا تقتصر الاعمال البلدية . كالتنظيف والتخفيف والحفاظ على التراث والصيانة الدائمة لكل هذه الاعمال . على الاجهزة الحكومية وانما سيكون ذلك عملا روتينيا وسلوكا فرديا . فمدينة روما مثلا حوفت عليها من قبل الرومان انفسهم وان نظافة المدن الانسانية ناتجة عن تجاوب الفرد الانساني ذاته .

لكن السؤال هنا هو :
- كيف نسقت واجهات مباني شارع حيفا .. هل تستلزم فيها شيئا يعود باصوله الى ما ذكرتم ؟

يمكن تلمس ذلك في تنسيق الرواق . فجميع ابنية شارع حيفا - مروقة . فلما شارع الرشيد . معد . وتصميم الشقق جاء مكيفا لعائلة عراقية . فهو مزاجية بين نمط قديم وجدة نافعة - معاملة الفتحات والجو البغدادي . فنحن لانرى شيئا يفتتح على الشارع مباشرة . وكذلك البلكونات . كما ان كل المرافق صممت حتى لا يكون خلط في الاستعمالات . وبخاصة الخدمية منها .

